هذا على مستوى الشكل، اما على مستوى المعنى فإن الاسئلة تطرح نفسها من جديد. لقد رسم «علي» الشخصيات المتعاونة مع العدو، لكنه ارجع هذا التعاون باستمرار الى امراض خلقية ونفسية، اليس هناك مصالح ذاتية، او انعزال عن الحركة الجماهيرية، او خوف من القمع الاسرائيلي؟ وهل يخون الفلسطيني لانه مشوه نفسيا او ضعيف اخلاقيا فحسب، وهل نسي «الكاتب» ان الموقع الطبقي يدفع البعض الى التعاون والخيانة؟ سؤال اخر: هل يقمع الضابط الاسرائيلي «كاتسمان» الجماهير الفلسطينية لانه معطوب نفسيا، وهل يعود القمع الى العصاب النفسي ام الى الايديولوجيا الصهيونية التي لا تنتج الصهيوني الا قامعا ومدمرا لكل ما هو فلسطيني؟ وهل يحتاج العدو الاسرائيلي الى التآمر والمكائد عندما يريد هدم قرية فلسطينية، الا يوجد التبرير، كل التبرير، في طبيعة دولة اسرائيل وايديولوجيتها الفاشية - التوسعية؟ سؤال آخر يشترك فيه «علي» مع كثير غيره من «الروائيين» الفلسطينيين. والسؤال هو: ضرورة تقديس الانسان الفلسطيني وتقديمه كجوهر نقي لا يعرف الخيانة. و «علي» عندما يقدم خائنا في روايته فإنه يربط تلك الخيانة باصول الخائن الاولى، «اصله من البانيا»؟ ان هذه الاسئلة تشير الى حدود وعي الكاتب في معالجته للصراع الوطني، وارتباط هذا الصراع مع الصراع الطبقي، كما تشير الى حدود وعيه للايديولوجية الصهيونية وطبيعة دولة اسرائيل.

واخيرا فإن هذه الاخطاء نتجت - كما يبدو - عن هم الكاتب في انتاج عمل روائي له وظيفة وطنية، وفي سبيل هذا الهم غلّب السياسي على الروائي، والاخلاقي على الايديولوجي، اي ظل «مخلصا» لايديولوجيا العمل السياسي المباشرة.

الخزعندار - عدنان عمامة:

في «الخزعندار» نجد شكلا جديدا يحكي قصة المسار الفلسطيني، والشكل هنا يعتمد مفهوم الساخر، ويرجع الوضع المأساوي الى حالة تثير الضحك، او يستعمل الضحك الظاهري ليلقي الضوء على الحدود الحقيقية لوضع مأساوي معين لا يثير في جوهره الا البكاء. ينطلق عدنان عمامة في عمله من مفهوم التعارض: التعارض بين الوطن والمنفى، بين لغة الوطن ولغة المنفى والشتات، بين «تحقق» الانسان في وطنه وضياعه مع ضياع الوطن. وانطلاقا من هذا المفهوم كان عليه ظاهريا ان يعارض بين المأساوي والساخر ويصف الوضع الفلسطيني بلغة مأساوية، لكن المؤلف عمد الى قلب الامور وسلك طريقا جديدا يصبح الضحك فيه اداة تعبر عن ذروة المأساة. ولتحقيق هذا المشروع لجأ الكاتب «بشكل او بآخر» الى استعمال مفاهيم العمل الساخر، فحاول انتاج شخصية تركيبية تعبر في مسارها الفردي عن مسار الشعب الذي تنتمي اليه، وتحكي في معنى حركتها معنى حركة الزمان الذي تتحرك فيه. والشخصية التركيبية في العمل الساخر تحتج على زمان وتحكي شروط الانسان المضطهد، اي انها تواجه ظلم زمانها بسلاح السخرية، تسخر منه ومن نفسها وتحدد وجودها نفيا. والتحديد بالنفي هي سمة الانسان المضطهد المحاصر، الذي ينفي نفسه كي يستطيع المحافظة عليها وكي يستطيع الوصول في شروط لاحقة الى تحديد ذاته بشكل ايجابي.

في كتابة ساخرة تحكي «الخزعندار» عن مصير «الخزعندار الذي ولد في سمخ» وعن